خطبة صلاة الجمعة 3/ 9/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(فضلُ حُسنِ الخُلق في معاملاتنا المالية)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 11، 12].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به.

والأذن الواعية هي أذن سَمِعَتْ وَعَقَلَتْ مَا سَمِعَتْ، أو هي أُذُنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتفكر فيه وتعمل بموجِبِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة الثامنة والعشرون في سلسلة عنوانها (**توعية**)، أعرض لكم فيها صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحةً مرة لنُعَمِّم خيرها وننشر فضلها، وخاطئةً أو مخطئةً مرة لنَحْذَر شرها ونترك فعلَها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يحب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة اليوم: **فضلُ حُسنِ الخُلق في معاملاتنا المالية**

للملاءة المالية وللشهادات العلمية وللخبرات العملية دور في نجاح المعاملات المالية، ولكن الواقع يدل على أنّ الحالة الأخلاقية للتاجر أو الصانع أو العامل هي الفيصل في إفادته مما سبق أو في تضييعه له.

فالسمعة الحسنة وصدق القول وأمانة الفعل ورحمة الخلق وحسن المنطق والتواضع والبر إذا اجتمعت مع الملاءة المالية والشهادة العلمية والخبرة العملية سمت بصاحبها ورفعته إلى قمم الربح والنجاح.

بينما سوء السمعة والكذب والخيانة والفظاظة والغلظة والكبر والعقوق تهوي بصاحبها ولو حمل من الشهادات العلمية ما حمل وجمع من المال ما جمع وخَبَر الحياةَ ما خَبَر.

فأخلاق التاجر أو الصانع أو العامل هي الفيصل في إفادته مما أعطاه الله أو في تضييعه له.

سبق في الخطبة الماضية حديث عن فضل حُسن الخُلق بين الزوجين، وهذا حديث عن فضل حسن الخُلق في معاملاتنا المالية، قال الأُوَل: (سعة الأخلاق كنوز الأرزاق) و(إذا ذهب الحياء حلَّ البلاء) و(المعاملة مع الله) و(المركب الذي لا شيء فيه لله يغرق) (كلُّ شريكين ثالثهم الله) و(الحرام لا يثمر).

ونصوص الشريعة وافرة في أثر الخُلق الحسن في سعادة الدارين فضلاً عن ربح الأصفرين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أَكْمَلُ المُؤمِنينَ إِيمَاناً: أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً**» [رواه الترمذي]، وقال: و«**إن مِنْ خِيَارِكم: أَحْسَنَكُمْ أَخْلاقاً**» [رواه البخاري ومسلم]، وقال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**» [رواه الترمذي]، وقال: «**إِنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ: دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**» [رواه أبو داود]، وسُئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن أكثرَ ما يُدْخِلُ الناس الجنة، قال: «**تقوى الله، وحسن الخُلقُ**» [رواه الترمذي].

عشرات الأحاديث تتحدث عن فضل الخلق الحسن والأدب الوافر، فكمال المؤمن وخيريته وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخوله الجنة وفوزه بالدرجات مرهون بأخلاقه وآدابه.

رووا عن محمد بن المنكدر أنه كان يبيع قطع قماش، بعضها بخمسة، وبعضها بعشرة، فباع أجيره لأعرابي في غيبته قطعة من الخمسيات بعشرة، فلما عرف ما فعل الأجير، لم يزل يطلب ذلك الأعرابي المشتري حتى وجده، فقال له: إن الأجير قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة، فقال المشتري: يا هذا، قد رضيت، فقال وإن رضيت، فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فاختر إحدى ثلاث

خصال: إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك، فقال: أعطني خمسة، فرد عليه خمسة.

وانصرف الأعرابي يسأل ويقول: من هذا التاجر؟! فقيل له: هذا محمد بن المنكدر، فقال: لا إله إلا الله، هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قحطنا.

حُسن الخلق في معاملاتنا المالية بركة ونماء!

مرض واحد من أطباء الشام المعروفين بأخلاقهم العالية وعلمهم الغزير وأدبهم الجم، فراح الناس يضعون صوره على صفحاتهم في التواصل الاجتماعي ويدعون له ويثنون عليه، كتب أحدهم: (يعرفه أهل الحيّ، القاصي والداني، يعالج المرضى ويعالج القلوب قبلها، نذر حياته لخدمة عباد الله، أياً كان مشربهم، يده بيضاء للفقراء والمعوزين، لا يتوانى عن الاستجابة لخدمة المرضى بتواضع، لأنه يوقن أنه يقوم بذلك مرضاةً لله أولاً وأخيراً.

اليوم يستلقي على سرير المرض، فمن حقه على الأمة أن تخلص الدعاء له ولجميع المرضى.

اللهم أنزل عليه الشفاء العاجل التام الدائم، اللهم امسح عليه بيمينك الشافية، وأنزل عليه العافية، اللهم اشفه شفاءً لا يُغادر سقماً، اللهم إنه عبدك يتقلب بين جوانح رحمتك ويدعوك بلسان حاله، أن تنزل عليه الشفاء والرضا، إنك أكرم مسؤول وأعظم مأمول، يا عزيز ويا غفور).

حُسن الخلق في معاملاتنا المالية بركة ونماء!

يستورد تاجر حلبي أقمشة من شركة ألمانية، لسنوات طويلة، وفي إحدى الصفقات حررت له الشركة فواتير خاطئة إذ غبنت نفسها بما يقارب أربعين ألف يورو، فجاءه من يقول له لا تخبرهم بالأمر وأنفق المبلغ على نفسك وأهلك وأهل بلدك، فأنتم به أحق.

فما كان منه إلا أن أخبر مدير الشركة بالخطأ وأرسل له المراسلات والفواتير التي تثبت ذلك وحوّل الأربعين ألفا لحساب الشركة.

شكره المدير ودعاه بعد حين لزيارة المعمل واستقبله استقبالاً حافلاً، ثم أدخله قاعة كبيرة مرتفعة الجدران عُلِّق على جوانبها مجموعةُ صور لرجال، وجد التاجر صورته بينهم، فسأل عن ذلك، فأخبره المدير أنهم أصدقاء الشركة، وأنه لم يعد زبون الشركة ولكنه صديقها.

يقول التاجر الحلبي: ومن ذلك اليوم وإلى الآن أعطتني الشركة حسومات على صفقاتي التالية ما يزيد على مائتي ألف يورو.

حُسن الخُلق في معاملاتنا المالية بركة ونماء!

روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سِبَاعٍ، قَالَ: اشْتَرَيْتُ نَاقَةً مِنْ دَارِ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، فَلَمَّا خَرَجْتُ بِهَا، أَدْرَكَنَا وَاثِلَةُ وَهُوَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، اشْتَرَيْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَرَدْتَ بِهَا سَفَرًا، أَمْ أَرَدْتَ بِهَا لَحْمًا؟ قُلْتُ: بَلْ أَرَدْتُ عَلَيْهَا الْحَجَّ، قَالَ: هَلْ بَيَّنَ لَكَ مَا فِيهَا؟ قُلْتُ: وَمَا فِيهَا؟ قَالَ: إِنَّهَا لَسَمِينَةٌ ظَاهِرَةُ الصِّحَّةِ، وإِنَّ بِخُفِّهَا نَقْبًا، قَالَ: فَقَالَ صَاحِبُهَا: أَصْلَحَكَ اللهُ، مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا تُفْسِدُ عَلَيَّ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يَبِيعُ شَيْئًا أَلَّا يُبَيِّنَ مَا فِيهِ، وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ أَلَّا يُبَيِّنَهُ**».

حُسن الخُلق في معاملاتنا بركة ونماء!

تشارك طبيبان في عيادة تصوير شعاعي بمالهما وجهدهما وتقاسما الأرباح بينهما، توفى الله أحد الشريكين، فما كان من شريكه إلا أن أخبر أهل المتوفى أنه سيُبقي الأمر المالي في العيادة على ما هو عليه بعد حسم أجرة العمل – إن رغبوا بذلك – لتبقى العيادة مصدر دَخْلٍ لأسرة المتوفى، وهكذا كان.

وهو من عشرين سنة ويزيد يتعامل معهم بهذه الطريقة ويقول: إن الله يبارك له في عمله وأرزاقه.

حُسن الخُلق في معاملاتنا المالية بركة ونماء!

أيها الإخوة:

في سورة الشمس أقسم الله تعالى أحد عشر يميناً على أنّ صاحب الخُلق الحسن رابح وأنّ صاحب الخلق السيء خاسر، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا*﴾ [الشَّمس:1-10] أي: أقسم لكم يا عبادي أحد عشر يميناً أنَّ من تخلَّق بالأخلاق الحسنة سينجح ويفوز ويربح، وأنَّ من دسّ نفسه في الأخلاق السيئة فخدع النَّاس وغدر بهم وسلبهم أموالهم وآذاهم في معاملاتهم وباع دينه بعرض من الدُّنيا قليل سيخيب ويخسر.

وفي سورة الأعلى قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى:14]، و(قد) هنا أداة تحقيق، يعني: تأكد أنَّ الذي يزكي نفسه بالأخلاق الفاضلة سيربح وينجح ويفوز، أن الذي يتحلَّى بالصِّفات النَّبيلة والخلال الحميدة سيفلح وينجح.

ولا شك أن الذي يدسُّ نفسه في أخلاق ذميمة سيخسر.

فحُسن الخُلق في معاملاتنا المالية بركة ونماء!

أيها الإخوة:

تعلمون أنّ الناس تحتاج الأخلاق التعاملية في الأوقات كلها لكنهم في الأزمات والشدائد أشدُّ لها حاجة.

وتعلمون أنّ السمعة الأخلاقية للتاجر أو الصانع أو الموظف لها الأثر الأكبر في سير عمله.

وهذا شيء من فضل حُسن الخُلق في معاملاتنا المالية، ومن سعادة المرء حُسن خلقه، وإن من ساء خلُقُه عذَّب نفسه.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«ما شيءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ البذي»** [الترمذي].

والحمد لله رب العالمين